# تلخيص كتاب رحلتى من الشك إلى الإيمان

## د. مصطفى محمود

## إعداد / محمد عطيتو

## بطاقة الكتاب :

| | |
|---|---|
| اسم الكتاب | رحلتى من الشك إلى الإيمان |
| المؤلف | د. مصطفى محمود |
| دار | أخبار اليوم – قطاع الثقافة |
| عدد الصفحات | 127 |
| تلخيص | محمد عطيتو |

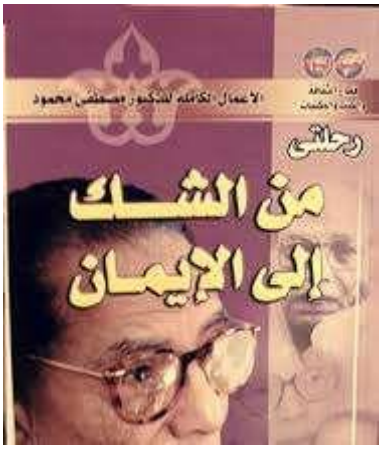


## ما أجمل القراءة فى هذا الكتاب !!

هذا الكتاب للدكتور مصطفى محمود من كتب اليقين ، وما أجمل قراءة هذا النوع من الكتب !!

ألست تستمتع بسماع قصص من كان على غير دين الإسلام ، ثم انشرح صدره له ؟

أو على الأقل من كان على شك ، أو لديه شبهة فى جانب من جوانب الإسلام ثم عرف وجه الحق فيه ، فاطمأن قلبه واستقرت نفسه ، وذاق حلاوة اليقين ؟

لعل السر فى استمتاعنا بسماع هذه القصص ، وقراءتنا لهذه النوعية من الكتب يكمن فى العبارة التالية :

**( بضدها تتميز الأشياء )**

فجمال الإسلام يتجلى لنا أكثر من خلال التعرف على بطلان المذاهب المخالفة له ، ومن هنا تثبت جذور اليقين فى قلبك عندما تعرض لك الشبهات وتعرف بطلانها وتهافتها ، فتزداد تمسكاً بالإسلام العظيم واعتزازاً بشعائره واعتصاماً بمنهجه .

ولهذا السبب فكتابنا اليوم كتاب جميل ، فهيا بنا نحو استخلاص عصارته ، وتذوق حلاوته !!

## انطباعان خاطئان عن الكتاب وتصحيحهما ..

من لم يعرف الدكتور مصطفى محمود ، فقد يقرأ عنوان كتابه الأشهر الذى بين أيدينا ، ويتولد لديه انطباعان خاطئان :

**الأول :** قد تدل كلمة ( رحلتى ) على أن الكتاب من كتب السيرة الذاتية ، والواقع أنه ليس كذلك ، فلا تتأهب عند قراءة الكتاب لسماع قصص وأحداث وتجارب شخصية وتواريخ يحكيها لنا الدكتور مصطفى محمود .

**الثانى :** قد تحمل كلمة ( الشك ) معنى عاماً ؛ ولكن الواقع أن الدكتور مصطفى محمود لا يتحدث إلا عن نوع معين من الشك وقع فيه فى بواكير حياته ، وبالتالى لا تتأهب عزيزى القارىء لسماع ردود عن شبهات من قبيل : لماذا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم العديد من النساء ؟ هل انتشر الإسلام بالسيف ؟ أيهما أولى بالخلافة : على أم الصديق رضى الله عنهما ؟

مثل هذه الشبهات وغيرها لا يتعرض لها الدكتور مصطفى محمود فى كتابه .

ولكن الدكتور رحمه الله يعرض فى كتابه بعض أطروحات المذهب المادى ، والتى تأثر بها فى مقتبل حياته كما تأثر بها غيره ، بفعل طغيان الحضارة الأوربية وشيوع نمط الحياة الغربى المادى الذى لا يقيم وزناً كبيراً لغير المحسوس ، ويعرض الدكتور ما يفند به هذه الأطروحات ويهدمها تماماً ، فيحل الإيمان واليقين محل الشك والتخمين .

إن الشكّ الذى يتكلم عنه د. مصطفى محمود هو هذا الشك **الذى يتعلق بقضية الدين من أساسها** . ففى بدايات وأواسط القرن العشرين انتشرت هذه الموجة المادية المتوحشة التى تبغى الدنيا ولا شىء وراءها ؛ اللذة ثم اللذة ، واللحظة ثم اللحظة ، وافترض المذهب المادى أن كل هذا الكلام عن الله واليوم الآخر تخاريف وشعوذة ، وأنه لا يوجد غير هذا العالم المحسوس .
وكان أكبر أسباب انتشار هذه الموجة : الآفاق العلمية التى انفتحت للإنسان وسعيه للسيطرة على المزيد من مقدرات الكون ، وصارت الثقافة المادية تنبذ الأديان عموماً ، لأن أصحابها يشعرون أنهم فى غنى عنها ، وأنهم قادرون على الحياة

بدونها ، وأن العلم فيه الكفاية فاستخفوا بمسائل مثل : الإيمان بالله واليوم الآخر ، والإيمان بالغيب ، بل إن كل ما هو غيب فهو غير موجود .
ولقد انتقل د. مصطفى محمود من دياجير المادية إلى رحاب الإيمان وأصبح علماً من أعلام معاداة هذه الموجة المادية ، والمناداة بالرجوع للقيم والمبادىء وتعاليم الإسلام الحنيف ، والتخفّف من أغلال المادة ، والارتشاف من ينابيع الروح ، فهذه هى الحياة الحقيقية .
وقد يسأل سائل : متى بدأ هذا الشك فى حياة الدكتور مصطفى محمود ؟

## متى كانت بدايات الشك فى حياة د. مصطفى محمود .. ؟

يحكى لنا د. مصطفى محمود عن بدايات الشك فى حياته فيقول : كان ذلك من زمن بعيد لست أذكره .. ربما كنت أدرج من الثالثة عشرة إلى الرابعة عشرة وربما قبل ذلك .. فى مطالع المراهقة .. حينما بدأت أتساءل فى تمرّد : تقولون أن الله خلق الدنيا لأنه لابد لكل مخلوق من خالق ولابد لكل صنعة من صانع ولابد لكل موجود من مُوجد .. صدقنا وآمنّا .. فلتقولوا لى إذن من خلق الله .. أم أنه جاء بذاته .. فإذا كان قد جاء بذاته وصحّ فى تصوركم أن يتم هذا الأمر .. فلماذا لا يصحّ فى تصوركم أيضاً أن الدنيا جاءت بذاتها بلا خالق وينتهى الإشكال .
كنت أقول هذا فتصفرّ من حولى الوجوه وتنطلق الألسن تمطرنى باللعنات وتتسابق إلىّ اللكمات عن يمين وشمال .. ويستغفر لى أصحاب القلوب التقيّة ويطلبون لى الهدى .. ويتبرأ منى المتزمّتون ويجتمع حولى المتمرّدون .. فنغرق معاً فى جدل لا ينتهى إلا ليبدأ ولا يبدأ إلا ليسترسل . انتهى
وهكذا نتبين أن الشك قد راود الدكتور منذ فترة مبكرة من حياته .
وهكذا عرفنا بداية الشك فى حياة الدكتور مصطفى محمود ، فمتى انتهى ، ومتى عاد من ظلمات المادية إلى نور اليقين ؟

## كيف انتهى الشك فى حياة د. مصطفى محمود ..؟

انتهى الشك فى حياته بعد ثلاثين سنة من الغرق فى الكتب وآلاف الليالى من الخلوة والتأمل والحوار مع النفس .. ويبدى الدكتور شجاعة أدبية فى الاعتراف بأن زهوه بعقله وإعجابه بنفسه وذكائه .. كان هو الحافز وراء هذه المناورات الفكرية فى صغره ، وأنه قد غابت عنه أصول المنطق ولم يدرك – حينذاك – أنه يتناقض مع نفسه ، فيعترف بالخالق ، ثم يقول : ومن خلق الخالق .. فيجعل منه مخلوقاً بعد أن

اعتبره خالقاً . ثم إن القول بسبب أول للوجود يقتضى أن يكون هذا السبب واجب الوجود فى ذاته ، وليس معتمداً ولا محتاجاً لغيره لكى يُوجد .
أما أن يكون السبب فى حاجة إلى سبب ، فإن هذا يجعله واحدة من حلقات السببية ولا يجعل منه سبباً أول .

## خريطة التلخيص ..

فى الصفحات التالية سنستعرض أهم ما تناوله الدكتور مصطفى محمود فى كتابه ، والذى يعد وثيقة مهمة لتحطيم شبهات الملحدين ، والرد على أطروحات الماديين ، وسيسهم ما سوف تقرؤه بإذن الله فى بث الطمأنينة فى قلبك وفى شحنك بجرعات قوية من اليقين ، والواجب عليك عزيزى القارىء أن تتأمل جيداً فيما يلى وتعيد قراءته من وقت لآخر ، وها هى النقاط الرئيسية التى سنتناولها :

- هل وجد الكون بالصدفة ؟ وهى الشبهة الأشهر التى يطرحها الملحدون على المؤمنين .
- لماذا ينكر المذهب المادى الروح ؟ ولماذا لا يرى فى الإنسان سوى الجسد الظاهر ؟
- ماذا تعرف عن وحدة الوجود ؟ وهى من العقائد الضالة التى لا تفرق بين الكون وبين خالقه ، فتفترض أن الكون هو الله ، والله هو الكون ، وهى قريبة من الإلحاد الذى يعتبر أن ( أمنا الطبيعة !! ) هى التى خلقت كل شىء .
- حتمية وجود اليوم الآخر الذى يجتمع الناس فيه للجزاء والثواب والعقاب .

هذه هى النقاط الرئيسية التى سنتناولها فى عصارة هذا الكتاب الرائع ، مع نقاط أخرى لنصل فى نهاية التلخيص إلى شاطىء الإيمان واليقين والتسليم لرب العالمين .

**( فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ )**

إن الفائدة المنتظرة من قراءة هذا الكتاب : التزود بمصل واق ومناعة قوية ضد الإلحاد وأشهر شبهاته ومن ثم تعميق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فتجهز عزيزى القارىء لكى تزيد يقينك ، وتُطمئن ضميرك ، فتنطلق فى الحياة بخطى ثابتة ونفس مطمئنة تنشر الخير ، وتفعل المعروف ، وتدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .

هيا بنا نبدأ الرحلة ؛ رحلتنا جميعاً من الشك إلى الإيمان !!

## لا .. لم يكن الأمر صدفة أبداً !

سنبدأ بتناول أشهر شبهة من شبهات الملحدين ، وهى ادعاءهم أن هذا الكون وجد صدفة ، ونرد عليهم بكل قوة ونقول : لا .. لم يكن الأمر صدفة أبداً ! ، وسنعرف ذلك من خلال رصد التوازن العظيم الذى نلمحه فى كل ذرة من ذرات الكون .

إن سنة الله سبحانه وتعالى فى الطبيعة أنه كلما تكاثرت فيها حشرة اصطنع لها حشرة مضادة تأكلها ليحفظ للمخلوقات توازنها فلا يطغى واحد على الآخر إلا بحساب .

هذا التوازن هو قانون الكون .

فمثلاً .. لو كانت الكرة الأرضية أصغر حجماً مما هى لضعفت جاذبيتها ولأفلت الهواء من جوها وتبعثر فى الفضاء ولتبخر الماء وتبدد ولأصبحت جرداء مثل القمر لا ماء ولا هواء ولا جو ولاستحالت الحياة .

ولو كانت أكبر حجماً مما هى لازدادت قوتها الجاذبة ولأصبحت الحركة على سطحها أكثر مشقة ولازداد وزن كل منا أضعافاً ولأصبح جسده عبئاً ثقيلاً لا يمكن حمله .

ولو أن الأرض اقتربت فى فلكها من الشمس مثل حال الزهرة لأهلكتنا الحرارة ..
ولو أنها ابتعدت فى مدارها مثل زحل والمشترى لأهلكنا البرد .
ولو كان الغلاف الهوائى أقل كثافة لأحرقتنا النيازك والشهب المتساقطة بدلاً من أن تُستهلك هذه الشهب وتتفتت فى أثناء اختراقها للغلاف الهوائى الكثيف كما يحدث حالياً .
ولولا أن الثلج أقل كثافة من الماء لما طفا على السطح ولما حفظ أعماق البحار دافئة وصالحة لحياة الأسماك والأحياء البحرية .
وفى جسم الإنسان نرى هذا التوازن ..
فكل عنصر له فى الدم نسبة ومقدار ..
ودرجة الحرارة المكيفة دائماً عند 37 درجة مئوية من وراءها عمليات فسيولوجية وكيميائية تحفظها ثابتة عند هذا المستوى .
وكذلك ضغط الدم .
وتوتر العضلات .
ونبض القلب .
ونظام الامتصاص والإخراج .
قال تعالى : **"وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا"**
والقول بأن كل هذا النظام والاتساق حدث صدفة هو السذاجة بعينها ، وذلك كقولنا إن انفجاراً فى مطبعة أدى إلى أن تصطف الحروف على هيئة قاموس مُحكم .
هذا التوازن العظيم والاتساق المذهل والتوافق والتلاحم والانسجام الذى يتألف من ملايين الدقائق والتفاصيل يصرخ بأن هناك مُبدعاً لهذه البدائع وأنه إله قادر جامع لكل الكمالات قريب من مخلوقاته .. معتن بها .. مستجيب لحاجاتها ، سميع لآهاتها بصير بحالاتها ، وأنه الله الذى وصفته لنا الأديان بأسمائه الحسنى ولا سواه ..
وليس القانون الأصمّ الذى تقول به العلوم المادية البكماء .. ولا إله أرسطو المنعزل .. ولا إله أفلاطون القابع فى عالم المثل .. ولا هو الوجود المادى بكليته كما تصور اسبينوزا وأتباع وحدة الوجود .
وإنما هو :
الله الأحد ..
الذى ليس كمثله شىء ..
المتعالى على كل ما نعرف من حالات وصور وأشكال وزمان ومكان .
ظاهر بأفعاله خفى بذاته .. لا تراه الأبصار ويرى كل الأبصار .. بل إن كل الأبصار ترى به وبنوره وبما أودع فيها من قدرة .

وهنا قد يقفز لنا ملحد ويقول : ولكننا لم نر الله .. فكيف نؤمن به ، هل من العلم أن نؤمن بالغيب ؟ وهذا هو حديثنا فى النقطة التالية .

## هل من العلم أن نؤمن بالغيب ؟!

الله سبحانه وتعالى ليس محدوداً ليقع فى مدى الإبصار .. وهو غيب .
فإن قيل – على لسان الماديين – أنه ليس من العلم الإيمان بالغيب ، وإن مجال العلم هو المحسوس ، يبدأ من المحسوس وينتهى إلى المحسوس .
فنقول لهم : كذب فى كذب .
إن نصف العلم الآن أصبح غيباً .
العلم يلاحظ ويدون الملاحظات .. يلاحظ أن صعود الجبل أشقّ من النزول منه ، وأن رفع حجر على الظهر أصعب من رفع عصا .. وأن الطير إذا مات وقع على الأرض .. وأن التفاحة تقع هى الأخرى من شجرتها إلى الأرض .. وأن القمر يدور مُعلقاً فى السماء .
وهى ملاحظات لا تبدو بينها علاقة .
ولكن حينما يكتشف نيوتن الجاذبية ترتبط كل هذه الملاحظات لتصبح شواهد دالة على هذه الجاذبية .. وقوع التفاحة من شجرتها وصعوبة تسلق الجبل وصعوبة رفع الحجر وتعلق القمر فى السماء .
إنها نظرية فسرت لنا الواقع .
ومع ذلك فهذه الجاذبية غيب لا أحد يعرف كنهها .. ونيوتن نفسه وهو صاحب النظرية يقول فى خطاب إلى صديقة بنتلى :
إنه لأمر غير مفهوم أن نجد مادة لا حياة فيها ولا إحساس تؤثر على مادة أخرى وتجذبها مع أنه لا توجد بينهما أية علاقة .
فها هى ذى نظرية علمية نتداولها ونؤمن بها ونعتبرعا علماً .. وهى غيب فى غيب .
والإلكترون .. والموجة اللاسلكية .. والذرة .. والنيوترون ..
لم نر منها شيئاً ومع ذلك نؤمن بوجودها اكتفاءً بآثارها . ونقيم عليها علوماً متخصصة ونبنى لها المعامل والمختبرات .. وهى غيب فى غيب بالنسبة لحواسّنا .
والعلم لم يعرف ماهية أى شىء على الإطلاق .
ونحن لا نعرف إلا أسماءً .. لا نعرف مسميات .. نحن نتبادل مصطلحات وأسماءً دون أن نعرف لها كنهاً .

والله حينما علم آدم علمه الأسماء فقط ولم يُعلمه المُسمّيات .. **(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا)**

وهذه هى حدود العلم .

وغاية مطمع العلم أن يتعرف على العلاقات والمقادير، ولكنه لا يستطيع أن يرى جوهر أى شىء أو ماهيته أو كنهه . هو دائماً يتعرف على الأشياء من ظواهرها ويتحسسها من خارجها .

فالكيمياء والطبيعة والكهرباء هى فى الواقع علوم جزئية تبحث فى الجزئيات والعلاقات والمقادير والكميات .. أما الدين علم كلى يبحث فى الكليات .. بل هو منتهى العلم لأنه يبحث فى البدايات الأولى للأشياء ، والنهايات المطلقة للأشياء ، والغايات النهائية للوجود ، والمعنى العام الجديد ، والمغزى الكلى للحوادث .

إن المذهب المادى يسىء إلى الله بإنكار وجوده بحجج واهية لا تصمد للنقاش العلمى كما رأينا ، وهو بإساءته لله يسىء كذلك إلى الإنسان بإنكاره لأشرف ما فيه ؛ الروح

## ما هو موقف المذهب المادى من الروح ؟

ينظر المذهب المادى إلى الإنسان نظرة مادية ضيقة فيرى الشخصية مجرد ردود الفعل ومجموع الأفعال المكتسبة .

وأن العاطفة هى مجرد جوع جسمانى لا علاقه له بالغيب أو الروح ؛ فالنفس هى مجرد حوافز الجوع والجنس ومجموعة الاستشعارات التى يدرك بها الجسد ما يحتاجه .

وحيث أن النظرة المادية تُسقط الجانب الغيبى الروحى ولا تعترف به ، فلا غرابة بعد ذلك أن يكون جوهر المادية هو افتراض أن كل شىء إلى فناء وزوال ، وأن الإنسان مصيره إلى العدم المطلق .

هذا هو المذهب المادى المتهافت .

وهذا كلام مردود عليه فى النقاط التالية :

1) إن أفعال الإنسان لا يمكن تفسيرها بحوافز الجوع والجنس المحسوسة التى تتحكم فيها الهرمونات ، بل إن الإنسان يضحى بلقمته وبيته وفراشه الدافىء فى سبيل أهداف ومثل وغايات شديدة التجريد كالعدل والحق والخير والحرية .. أين حوافز الجوع والجنس هنا ؟

نحن أمام إثبات قاطع بأن النفس والذات حقيقة متجاوزة وعالية على الجسد وليست مجرد احتياجات الجسد الحسية . وأن هذه الغايات العليا كما أنها غير محسوسة ، فلا يدركها إلا شىء على شاكلتها ، وليس ذلك إلا الروح .

تلك الإرادة الهائلة التى تدوس على الجسد وتضحى به هى حقيقة متجاوزة عالية بطبيعتها وآمرة ومهيمنة على الجسد وليست للجسد تبعاً وذيلاً ، وهى إذن لا تموت بموته ولا تفنى بفنائه .

وهذه الإرادة الهائلة لا اسم لها إلا الاسم الذى أطلقته الأديان : الروح .

2) يقول د. مصطفى محمود : والذى يقول إن الإنسان مجموعة وظائف فسيولوجية مادية لاغير عليه أن يفسر لنا أين يذهب ذلك الإنسان فى لحظة النوم .

إن جميع الوظائف الفسيولوجية قائمة ومستمرة فى أثناء النوم .. وجميع الأفعال المنعكسة واللاإرادية تحدث بانتظام .. فالقلب يدق والنَفَس يتردد والغدد تفرز والأحشاء تتلوى والأعضاء التناسلية تهتاج والذراع ينقبض لشكة الدبوس .. ومع ذلك فنحن أمام رجل نائم أشبه بشجرة .. مجرد شجرة أو حياة بدائية لا تختلف عن حياة الحشرات .

ولكن النوم ثم اليقظة – وهو النموذج المصغر للموت ثم البعث – يكشف لنا مرة أخرى عن ذلك العنصر المتعالى الذى يَخلق بحضوره فى تلك الجثة النائمة فجأة وبلا مقدمات هتلر أو نيرون ، فإذا بذلك الممدّد كالثور الهامد يصحو ليقتل ويغزو ويسحق ويمحق .. وإن هذا الفرق الهائل أكبر من أن يفسر بتغير مادى يتم فى لحظات . ولو كان ( المنهج المادى ) صالحاً للتفسير .. فليُفسر لنا ذلك التغير الهائل بين النوم واليقظة رغم أن الوظائف الفسيولوجية هى هى . انتهى بتصرف

3) رغم أننا كلنا من خامة واحدة ، إلا أن لكل منا فرديته الخاصة به التى تظهر حتى فى بصمة الإصبع .

والفرق بين مخلوق ومخلوق ليس مجرد فرق كمى فى الذرات ..

وإنما هناك فرق أكبر وأعقد فى العلاقات بين تلك الذرات وفى كيفيات الترابط بينها .

فمثلاً .. جميع الأجنة الآدمية يتم توليفها من أكثر من عشرين حرفاً كيميائياً من بروتين DNA و RNA كما تتألف جميع الكتب من الحروف الأبجدية ، ومع ذلك يكون لكل كتاب روحه وشخصيته ونوعيته رغم أن جميع الكتب مؤلفة من الحروف نفسها . وأنت تنظر إلى الناس فتجدهم من الناحية المادية متساوون ( كلهم يتكونون من لحم ودم ونفس الأعضاء ! ) ولكن الفروق بينهم فى النواحى المعنوية كبيرة جداً ، فتجد منهم السهل والحزن ، والكريم والبخيل ، والرقيق والفظ ، والمتواضع والمتغطرس وكل هذا يدل على أن

التكوين الإنسانى أمر يتجاوز مجرد وجود جسد فقط ، بل هناك شىء آخر بدونه لا يصبح الجسد سوى جثة هامدة لا مكان لها إلا تحت التراب !!

4) ما كنا نستطيع إدراك مرور الزمن لولا أن الجزء المُدرك ( بكسر الراء ) فينا يقف على عتبة منفصلة وخارجة عن هذا المرور الزمنى المستمر .

ولو كان إدراكنا يقفز مع عقرب الثوانى كل لحظة لما استطعنا أن ندرك هذه الثوانى أبداً ولَحَصَل الانصرام الكامل لإدراكنا كما تنصرم الثوانى بدون أن يلاحظ شيئاً .

وإنه لقانون معروف إن الحركة لا يمكن رصدها إلا من خارجها .

لا يمكن أن تدرك الحركة وأن تتحرك معها فى الفلك نفسه .. وإنما لابد من عتبة خارجية تقف عليها لترصدها .. ولهذا تأتى عليك لحظة وأنت فى أسانسير متحرك لا تستطيع أن تعرف هل هو واقف أم متحرك لأنك أصبحت قطعة واحدة معه فى حركته .. لا تستطيع إدراك هذه الحركة إلا إذا نظرت من باب الأسانسير إلى الرصيف الثابت فى الخارج .

وبالمثل لا يمكنك رصد الشمس وأنت فوقها ولكن يمكنك رصدها من القمر أو الأرض .. كما أنه لا يمكنك رصد الأرض وأنت تسكن عليها ، وإنما تستطيع رصدها من القمر . كما أنك لا ترى نفسك ، ولكن غيرك يراك .

وهكذا لا تستطيع أن تحيط بحالة إلا إذا خرجت بعيداً عنها . ولهذا ينصحون من لديه مشكلة أن يتخيل أنها وقعت لغيره كى يتمكن من رؤيتها وحلها أو حتى أن يستشير غيره .

وأنت إذ تدرك مرور الزمن لابد أن تكون ذاتك المُدركة خارج الزمن . وهى نتيجة مذهلة تثبت لنا الروح أو الذات المُدركة كوجود مستقل متعال على الزمن ومتجاوز له وخارج عنه .
وبالتالى فها نحن أمام الجسد ، وهو جزء غارق فى الزمن ينصرم مع الزمن ويكبر معه ويشيخ معه ويهرم معه ، وجزء خارج عن هذا الزمن يلاحظه من عتبة سكون ويدركه دون أن يتورط فيه ، ولهذا فهو لا يكبر ولا يشيخ ولا يهرم ولا ينصرم .. ويوم يسقط الجسد تراباً سوف يظل هو على حاله حياً حياته الخاصة غير الزمنية ..
وكل منا يستطيع أن يلمس هذا الوجود الروحى بداخله .. ويدرك أنه وجود مغاير فى نوعيته للوجود الخارجى النابض المتغير الذى يتدفق حولنا فى شلال من التغيرات .
كل منا يستطيع أن يحس بداخله حالة حضور وديمومة وشخوص وكينونة حاضرة دائماً ومغايرة تماماً للوجود المادى المتغير المتقلب النابض مع الزمن خارجه .
ونحن حينما ندرك الجمال ونميزه من القبح وندرك الحق ونميزه من الباطل وندرك العدل ونميزه من الظلم .. فنحن فى كل مرة نقيس بمعيار .. بمسطرة منفصلة عن الحادث الذى نقيسه .. فنحن إذن نقيس من العتبة نفسها .. عتبة الروح .. فالوجود الروحى يمثله فينا أيضاً الضمير ويدل عليه أيضاً الإحساس بالجمال .. وتدل عليه الحاسة الخفية التى تميز الحق من الباطل والزائف من الصحيح .. وتدل عليه الحرية الداخلية .. فالروح هى منطقة السريرة والحرية الطليقة والاختيار والتمييز . والموت بالنسبة للروح التى تعيش خارج منطقة الزمن .. لا أكثر من تغيير ثوب .. لا أكثر من انتقال .
إن الروح هى تلك الحضرة المستمرة التى لا يطرأ عليها طارىء الزوال ولا تهب عليها رياح التغيير ، وكأنها العين المفتوحة داخلنا ..

إنها ذلك الصحو الداخلى .. ذلك النور غير المرئى فى نفوسنا .

5) هل الذاكرة هى المخ ، أم أنهما شيئان مختلفان ؟ دليل خامس على وجود الروح .
الفلاسفة الماديون قالوا إن الذاكرة فى المخ .. وإن الذاكرة هى لفائف مسجلة تُحفظ بالمخ وهى تدور تلقائياً لحظة محاولة التذكر .. الذاكرة مجرد نقش وحفر على مادة الخلايا ..

ومصيرها أن تبلى وتتآكل كما تبلى النقوش وتتآكل وينتهى شأنها حينما ينتهى الإنسان بالموت وتتآكل خلاياه ..
وهذا رأى بعيد عن الصواب .. لأنه يقتضى أن كل نقص فى ذاكرة معينة لابد أن يقابله تلف فى الخلايا المختصة المقابلة ، وهو أمر لا يشاهد فى إصابات المخ وأمراضه . ثم ما نتخيل أحياناً أننا نسيناه نكتشف أننا لم ننسه وأنه موجود يظهر لنا فجأة فى لحظة استرخاء أو حلم أو فى عيادة طبيب نفسى وأحياناً يظهر فى زلة لسان أو خطأ إملائى . لا شىء يُنسى أبداً .. ولا شىء يضيع .. والماضى مكتوب بالفعل لحظة بلحظة ودقة قلب بدقة قلب .
أما المخ فهو مجرد سنترال يعطى التوصيلة كما يفعل الراديو حينما يحول الموجة اللاسلكية إلى نبض كهربائى مسموع .. فإذا أصيب الراديو بعطل فلا يكون معنى هذا العطل أن تتعطل الموجة فى الأثير .. وإنما فقط يحدث شلل فى جهاز النطق فى الراديو . أما الموجة فتظل سليمة على حالها يمكن أن يلتقطها راديو آخر سليم .
وهذا حال الذاكرة .. مسكنها ومستقرها الروح وليس المخ ولا الجسد بحال .. وما وظيفة المخ إلا مثل وظيفة الراديو .
وبالتالى .. فإذا أُصيب المخ بتلف .. لا تُصاب الذاكرة بتلف ، لأن الذاكرة حكمها حكم الروح ولا يجرى عليها ما يجرى على الجسد .
وفى حوادث النسيان المرحلى .. الذى تُنسى فيه مرحلة زمنية بعينها .. ينسى المُصاب فترة زمنية بعينها فتُمحى تماماً من وعيه وتُكشط من ذاكرته .
وكان يتحتم تبعاً للنظرية المادية أن نعثر على تلف مخى جزئى مقابل ومُناظر للفترة المنسية . لكن المُلاحظ أن أغلب تلك الحالات هى حالات صدمة نفسية عامة وليست تلفاً جزئياً محدداً . وفى حالات التلف المادى الشديد للمخ نتيجة الكسور أو الالتهابات أو النمو السرطانى .. حينما يبدأ النسيان الكامل يُلاحظ دائماً أن هذا النسيان يتخذ نظاماً خاصاً فتُنسى فى البداية أسماء الأعلام ، وآخر ما يُنسى هى الكلمات الدالة على أفعال .
وهذا التسلسل المنتظم فى النسيان فى مقابل إصابة غير منتظمة وفى مقابل تلف مشوش أصاب المخ .. يضرب النظرية المادية فى مقتل .. فهنا إصابة فى الذاكرة لا علاقة لها من حيث المدى والكم والنظام بالإصابة المادية للمخ .
وهكذا تتحطم النظرية المادية للذاكرة على حائط مسدود .

ونجد أنفسنا أمام ظاهرة متعالية على الجسد وعلى خلايا المخ .
وسوف تموت وتتعفن الخلايا المخية وتظل الذاكرة شاخصة حية بتفصيلاتها ودقائقها تذكرنا فى حياتنا الروحية الثانية بكل فعل فعلناه .
ولم يكن الجسد إلا جهازاً تنفيذياً للفعل وللإفصاح عن النوايا فى عالم الدنيا المادى .. كان مجرد أداة للروح ومطية لها .
لم يكن المخ إلا سنترالاً .. وكابلات توصيل .

وكل دوره هو أن يعطى التوصيلة من عالم الروح إلى عالم المادة .

إن دحض أكبر شبهتين للإلحاد : إنكار وجود الله ، وإنكار الروح ( وإنكار الروح فى حقيقته إقرار بأن التراب هو نهاية الإنسان ، وبالتالى هو إنكار لليوم الآخر ) هو من ناحية أخرى إثبات لصحة أكبر أصلين لأنصار الاتجاه الإيمانى ؛ الإيمان بالله واليوم الآخر ، وبالتالى ظهر الحق وزهق الباطل ، ويأس الشيطان من دفع الناس للإلحاد وإنكار هذين الأصلين تماماً ، ولم يبق أمامه إلا إثارة الغبار عليهما ، ومن هنا تظهر العقائد الضالة والتى منها وحدة الوجود ، ولقد تكلم عنها الدكتور مصطفى محمود فى كتابه ، وسنتناولها فى النقاط التالية .

## ماذا تعرف عن وحدة الوجود ؟

وحدة الوجود هى الاعتقاد بأن الله هو الكون والكون هو الله .. وأن كل شىء هو من تجليات الله .. ليس هذا فحسب ، بل إن وحدة الوجود تمتد لتصل فى النهاية إلى القول بأن الكون ( أو الطبيعة والموجودات ) والله واحد . **والسؤال : كيف نشأ هذا المذهب ؟**

خُلق الإنسان وفى فطرته أن يتوجه بالعبادة لـ ( منْ يتخذه إلهاً ) ، وعند تأمّل الكون وما فيه من إحكام وانضباط بالغيْن .. ينبهر الإنسان بهذا الكون وقد انضبط كل شىء فيه من ورقة الشجر إلى جناح الفراش إلى ذرة الرمل إلى الأجرام السماوية بالغة الكبر .
وهنا .. قد يقع المرء فى الفخ ويتوجه بالعبادة لهذا الكون ، وينسب إليه أنه قد أوجد نفسه بنفسه .. وأن الطبيعة فعلت وخلقت وهيأت وطوّرت .
وهذا هو ما وقعت فيه وحدة الوجود بافتراض أن الله هو الوجود ، وأنه قد تجلى فى كل شىء . بل يصبح كل شىء هو الله .

وبالتالى يكون القاتل والمقتول سواء والشر والخير سواء والحب والكره سواء ، وأن الله سبحانه وتعالى قد تجلى فى كل هذه الأشياء .. ومن هنا قال قائلهم :

**وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب فى كنيسة**

فتأليه الكون واتخاذ الطبيعة خالقاً إلهاً .. يتطوّر فيلغى الثنائية بين المخلوق والخالق .. ولذا ، نجد أن فكرة ( وحدة الوجود وتأليه الطبيعة ) وثيقة الصلة بتناسخ الأرواح وحلولها فى كائنات أخرى .. إذ بمقتضى هذه الفكرة ، فالكل واحد .

ويعترف د. مصطفى محمود أنه وقع فى أسر فكرة وحدة الوجود الهندية وفلسفة اسبينوزا.. وفكرة برجسون عن الطاقة الباطنة الخلاقة.. بل إنه مارس اليوجا وقرأ فى أصولها وتلقى تعاليمها على أيدى أساتذة هنود . ويخبرنا د. مصطفى محمود أن فكرة التناسخ سيطرت عليه مدّة طويلة .. وظهرت فى روايات له مثل **العنكبوت والخروج من التابوت** .

ووحدة الوجود على هذا ما هى إلا شكل من أشكال الإلحاد .

وسنبين بطلانها وتهافتها من إحدى الصلوات الهندية .

## التدليل على بطلان وحدة الوجود من إحدى الصلوات الهندية ..

فى سفر اليوبانيشاد صلاة هندية .. تقول :

إن الإله براهما الذى يسكن قلب العالم يتحدث فى همس قائلاً :

إذا ظنّ القاتل أنه قاتل

والمقتول أنه قتيل

فليسا يدريان ما خفى من أساليبى

حيث أكون الصدر لمن يموت

والسلاح لمن يقتل

والجناح لمن يطير

وحيث أكون لمن يشكّ فى وجودى

كل شيء حتى الشك نفسه

وحيث أكون أنا الواحد

وأنا الأشياء

من الدلائل على التناقض الموجود فى هذه الصلاة الهندية أن فطرة الإنسان فى بحثها عن خالقها فإنها تبحث عن رب كان الإسلام هو خير منْ تكلم عنه .. هذا الإله كما أن من صفاته : العظيم والقدير والعلىّ والكبير ( وهذه الصفات هى التى دفعت معتنقى وحدة الوجود إلى اعتناق فكرتهم بعد إسقاطها على الكون والطبيعة

والوجود ورؤية الدقة البالغة فى نظام الكون وإحكامه البالغ ) فإن الفطرة أيضاً تبحث عن الإله الودود الذى يتعهّد مخلوقه بالرعاية والعناية ويرسل إليه الرسل وينزل إليه الكتب .. أى الإله الذى يتواصل مع مخلوقاته ويأمرهم بكذا ، وينهاهم عن كذا .. وهذا غير موجود فى وحدة الوجود إذ أن الكون لا يُكلم أحداً والطبيعة عمياء بكماء صمّاء لا إرادة لها .. ومع ذلك فالفطرة لا تستغنى عن أن الله يُكلمها ويرعاها ويسمعها ويجيبها ، فتقع النفس الإنسانية فى التناقض وتلجأ إلى ادّعاء أن هذه الطبيعة العمياء البكماء الصمّاء تتكلم ! وتخبر أنها الله والله هى ، وأن الكون هو الله والله هو الكون والكل واحد وأن الله كما أنه الكون ، فهو بالتالى الأشياء والسلاح الطاعن والصدر المطعون والجناح والطائر وهو حتى الشك نفسه .. وحيث أن الصدر لم يقل لنا أنه هو السلاح وهو نفسه الذى طعنه السلاح وحيث أن العقل يأبى مثل هذه الخزعبلات ، فإنك تجد أن هذه الصلاة الهندية انتهت بالشك وأن الله هو الشك كما أنه هو كل شىء ، لأن قائل هذه الصلاة ربما أحس ما بها من تناقض ، ويعلم أن هذا التناقض ينتهى به إلى الشك والحيرة ، فإذا به يقول أن الله – أيضاً – هو الشك ، وهذا يخالف وحدة الوجود التى يقولون بها .. لأنه بالتالى سنجد أن الشك ( الذى يجمع معانى القلق والتردّد والحيرة وعدم التأكّد ) هو هو الكون الجميل المنتظم المنضبط المُحكم .. ومن كل هذا يتضح أننا أمام صلوات هندية غير معقولة ، وأن وحدة الوجود التى نطقت بها هذه الصلاة **فضلاً عن أنها فكرة خاطئة فهى غير عقلانية بالمرة !! بل ما هى إلا مجرد خرافة .**

وإذا كان كل شىء هو الله ، إذن فكل شىء هو كل شىء ؛ بمعنى أن الشجرة هى السماء والسماء هى النار ، ومحمود هو أحمد ، ومن البديهيات استشعار التمايز بين هذه الأشياء ، واستقلال كل شىء عن الآخر ، فأنا مستقل عنك وأنت مستقل عنى ولن نصبح واحداً أبداً !

وبالتالى يتضح أن المتكلم على لسان الإله براهما ( المزعوم ) هو الشيطان اللعين الذى يستغلّ تشوّق الإنسان إلى الله والألوهية ثم ينحرف بفطرته ويوجّهه الوجهة الخطأ .

وبالتالى لن يسلم لك التصور الصحيح للألوهية إلا بالاعتقاد أن الله خالق كل شىء ، ومتعال على كل شىء ، وبيده ناصية كل شىء .. ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

## كيف ابتدأت وحدة الوجود بأسس علمية سليمة وانتهت إلى اعتقادات مجنونة ؟

العلم يخبرنا أن هناك وحدة فى الخامة لا أكثر .. وحدة فى المادة الأولية التى بُنى منها كل شىء .. فكل الحياة من نبات وحيوان وإنسان بُنيت من تواليف الكربون مع الأيدروجين والأكسجين .. ولهذا تتحول كلها إلى فحم بالاحتراق .. وكل صنوف الحياة تقوم على الخلية الواحدة ومضاعفاتها .

فالأيدروجين يتحول فى باطن الأفران النجمية الهائلة إلى هيليوم وسليكون وكوبالت ونيكل وحديد إلى آخر قائمة العناصر وذلك بتفكيكه وإعادة تركيبه فى درجات حرارة وضغوط هائلة .

وهذا يردّ جميع صنوف الموجودات إلى خامة واحدة .. إلى فتلة واحدة حريرية غُزل منها الكون فى تفصيلات وتصميمات وطُرز مختلفة .

وهو أمر لا يستتبع أبداً أن نقول إن الله هو الوجود ، وأن الخالق هو المخلوق .

إن هذا يشبه منْ دخل معرضاً للرسم فاكتشف وحدة فنية بين جميع اللوحات .. واكتشف أنها جميعاً مرسومة على الخامة نفسها .. وبذات المجموعة الواحدة من الألوان ، وأكثر من هذا أن أسلوب الرسم واحد .

**وبالتالى نستنتج أن الرسام لهذه اللوحات واحد .**

**فالوحدة بين الموجودات تعنى وحدة خالقها ، وليس أن هذه الموجودات هى ذاتها الخالق .**

**كما لا يمكن أن نقول أن هذه الرسوم هى الرسام وهى التى رسمت نفسها !!**

وبالتالى ، فإن النظرة العلمية لظواهر الخلق والمخلوقات تقول أن هناك وحدة بينها ، وحدة أسلوب ووحدة قوانين ووحدة خامات تعنى جميعها أن خالقها واحد لم يشرك معه شريكاً يسمح بأسلوب غير أسلوبه .

وهذا الخالق هو الله الواحد الحكيم الرحيم المتعال على مخلوقاته .. يعلم ما لا تعلم ، ويقدر على ما لا تقدر ، ويرى ما لا ترى .. فهو واحد أحد قادر عالم محيط سميع بصير خبير ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار .

فى النقاط التالية ، سنتناول الأدلة الساطعة على وجود اليوم الآخر ، وهو ما يعطى المغزى لهذا الكون ، حيث سنرجع جميعاً إلى ربنا ليحاسب الناس على أفعالهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

## فطرتنا تنطق بحتمية البعث والجزاء ..

الذى رأى قطة تتلصص على مائدة فى خلسة من أصحابها ثم تمدّ فمها لتلقف قطعة سمك ، الذى رأى مثل تلك القطة ونظر إلى عينيها وهى تسرق لن ينسى أبداً تلك النظرة التى ملؤها الإحساس بالذنب .

إن القطة وهى الحيوان الأعجم تشعر شعوراً مُبهماً أنها ترتكب إثماً .. فإذا لحقها العقاب ونالت ضربة على رأسها فإنها تغض من بصرها وتطأطىء رأسها وكأنها تدرك إدراكاً مبهماً أنها نالت ما تستحق .

هو إحساس الفطرة الأولى الذى ركبه الخالق فى بنية المخلوق .

إنه الحاسة الأخلاقية البدائية نجد أثرها حتى فى الحيوان الأعجم .

ونحن إذ نتردد قبل الفعل نتيجة إحساس فطرى بالمسئولية .. ثم نشعر بالعبء فى أثناء الفعل نتيجة تحرى الصواب ، ونشعر بالندم بعد الفعل نتيجة الخطأ .

هذه المشاعر الفطرية التى يشترك فيها المثقف والبدائى والطفل هى دليل على شعور باطن بالقانون والنظام وأن هناك محاسبة .. وأن هناك عدالة .. وأن هناك بعثاً ومحاسبة ، وأن هذا شعور مفطور فينا منذ الميلاد جاءنا من الخالق الذى خلقنا .

وأهم برهان على البعث .. ذلك الإحساس الباطن العميق الفطرى الذى نولد به جميعاً ونتصرف على أساسه .. أن هناك نظاماً مُحكماً وقانوناً عادلاً . ونحن نطالب أنفسنا ونطالب غيرنا فطرياً وغريزياً بهذا العدل .

وتحترق صدورنا إذا لم يتحقق هذا العدل .

ونحارب لنرسى دعائم ذلك العدل .
وفى النهاية لا نحقق أبداً ذلك العدل . وهذا يعنى أنه سوف يتحقق بصورة ما لا شك فيه .. لأنه حقيقة مطلقة فرضت نفسها على عقولنا وضمائرنا طول الوقت .
وإذا كنا لا نرى ذلك العدل يتحقق فى دنيانا فلأننا لا نرى كل الصورة ولأن دنيانا الظاهرة ليست هى كل الحقيقة .
يقول المفكر الهندى وحيد الدين خان : إذا كان الظمأ إلى الماء يدل على وجود الماء فكذلك الظمأ إلى العدل لابد أنه يدل على وجود العدل .. ولأنه لا عدل فى الدنيا .. فهو دليل على وجود الآخرة مستقرّ العدل الحقيقى . فليتجهز كل منا لهذا اليوم بالإيمان والعمل الصالح ؛ لأننا سنحاسب على أعمالنا ، وسينتهى مصيرنا إما إلى جنة أو نار .
وقد يتساءل سائل : كيف سنحاسب ؟ ألم يقدر الله علينا أفعالنا ، فلماذا سيحاسبنا عليها ؟
وهذا ما سنتناوله فى النقطة التالية .

## الإنسان مسير أم مخير ؟

تناولنا فى النقاط الماضية إثبات وجود الله واليوم الآخر ، وفندنا أطروحات الماديين الملحدين الذين وجب عليهم مع كل هذه الأدلة الساطعة التوبة إلى الله والتوجه له وحده بالعبادة والتأهب للقاءه والسعى لمرضاته ، وفى محاولة يائسة منهم قد يقول أحدهم محاولاً إلقاء آخر ما تبقى فى جعبته من أدلة واهية : نحن مسيرون ، الإنسان مسير وليس مخيراً ؟ فلماذا يحاسبنا الله ؟ **( ملحوظة لطيفة : ها أنت تقر بوجود الله !! ومن فمك أدينك أيها الملحد الشرير !! وأنا أعرف أنك تقر بوجوده جدلاً كمحاولة أخيرة منك يائسة بائسة للطعن فيه وفى عدله ، ومن ثم الالتفاف نحو إنكار وجوده مجدداً ، ولكن سنثبت بطلان حجته الأخيرة البائسة اليائسة تلك !! )**
النظر للإنسان على أنه مسيّر جاء نتاجاً للنظرة المادية التى تقول أن الإنسان مجرد جسد بلا نفس وبلا روح وبلا عقل .. واعتبار النفس والعقل مجرد مجموعة الوظائف العليا للجهاز العصبى .
والمفكر المادى ينظر إلى خضوع الجسم للقوانين الفسيولوجية ، فيستنتج أن الإنسان والإنسانية بأسرها – قياساً – مغلولة فى القوانين المادية .
وهكذا يجعل من الإنسان كتلة مادية أشبه بكتلة القمر محكومة فى دورانها حول الأرض والشمس بالحتميات الفلكية .

ففى الوقت الذى سخر الله كل الكون للإنسان .. نجد المنهج المادى يحتقر الإنسان وينظر إليه أنه فى عداد هذه المخلوقات الكثيرة المتناثرة .. بل إنه – أى الإنسان – قد يكون قد تطور عنها ، وأنه فى أصله جرثومة أو خلية أو قرد .

أمّا المنهج الإلهى المستمدّ من الوحى الشريف ، فينظر للإنسان أنه مستقلّ عن هذا الكون .. وأنه قد خُلق ليستعمله فى طاعة الله ، وأنه سيد هذا الكون ، وأنه خُلق – حين خُلق – بصورة مستقلة ..( **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**)

إن هذا المفكر المادى نسى أن الإنسان يعيش فى **مستويين** .

مستوى الزمن الخارجى الموضوعى المادى – زمن الساعة – وفى هذا الزمن يرتبط بالمواعيد والضرورات الاجتماعية ويعيش فى أسر القوانين والحتميات .

ومستوى زمنه الخاص الداخلى .. زمن الشعور وزمن الحلم .. وفى هذا المستوى يعيش حياة حرة بالفعل .. فيفكر ويحلم ويبتكر ويخترع ويقف من كل المجتمع والتاريخ موقف الثورة .. بل يستطيع أن ينقل هذه الثورة الداخلية إلى فعل خارجى فيقلب المجتمع ويغير التاريخ من أساسه كما حدث فى كل الثورات .

هذه الثنائية هى صفة ينفرد بها الإنسان .

وبخصوص الزمن الداخلى ، فإذا نحن تأملنا ما يصاحب أفعالنا من تردد قبل اختيار القرار ثم الشعور بالمسئولية فى أثناء العمل ثم ندم أو راحة بعد تمامه .. فنحن نستنتج أننا أمام حالة مراقبة فطرية وفكرة ملحة بالحساب وبأن هناك خطأ وصواباً .. وإننا نعلم بداهة وبالفطرة التى وُلدنا بها أن العدل والنظام هو ناموس الوجود وأن المسئولية هى القاعدة .

وهذا العلم الذى نُولد به .. وهذه البداهة التى نُولد بها .. تقوم شاهدة على جميع العلوم المُكتسبة ومُلزمة لها .. فجميع العلوم المكتسبة يجوز فيها الخطأ والصواب .. أما العلم الذى نُولد به فهو جزء من نظام الكون المُحكم .

وكما نأتى إلى الحياة مزوّدين بعضلات لنتحرك بها ونُدافع بها عن أنفسنا ، كذلك نُولد مزوّدين بالبداهات الأولى لنحتكم إليها فى إدراك الحق من الباطل والصواب من الخطأ .

إن أعلى درجات المعرفة هى ما يأتيك من داخلك ، فأنت تستطيع أن تدرك وضعك ( هل أنت واقف أو جالس أو راقد ) دون أن تنظر إلى نفسك .. يأتيك هذا الإدراك وأنت مغمض العينين .. يأتيك من داخلك .. وتقوم هذه المعرفة حجة بالغة على أية مشاهدة .

وحينما تقول .. أنا سعيد .. أنا شقى .. أنا أتألم .. فكلامك يقوم حجة بالغة ولا يجوز تكذيبه بحجة منطقية .. بل إن تناول هذا الأمر بالمنطق هو تنطّع ولجاجة لا معنى لها .. فلا أحد أعرف بحال نفسك من نفسك ذاتها .

هذا ما تخبرنا به الفطرة .. ولو أنصت الإنسان لصوت الفطرة .. لأراح واستراح .. ولَوفّر على نفسه كثيراً من الجدل والشقشقة والسفسطة والمكابرة فى مسألة الروح والجسد والعقل والمخ والحرية والجبر والمسئولية والحساب ولاكتفى بالإصغاء إلى ما تهمس به فطرته وما يفتى به قلبه وما تشير به بصيرته .

الآن ، ما بقى لدينا ليس شبهات فقد أتينا عليها كلها ولله الحمد والمنة ومنه الفضل وحده ، ولم يتبق سوى تساؤلات لا تمنعنا أبداً من إفراد الله وحده بالعبادة ولا تؤدى بحال نحو إنكار وجوده جل وعلا ، ولكنها تظل معلقة وقد تحول بيننا وبين أن ننعم ببرد اليقين ، فالإلحاد كعطش يعذبك حتى يفتك بك ويرديك قتيلاً أما مثل هذه التساؤلات التالية فهى تشبه الماء النقى ولكن تشوبه بعض ذرات الرمل التى تحول دون كمال الارتواء به ، وسنتناول تساؤلات ثلاثة :
الأول : لماذا الألم فى هذه الدنيا ؟
والثانى : الله محبة ، فكيف سيعذب بالنار ؟
والثالث : ما هى طبيعة نعيم الجنة وعذاب النار ؟
ولنبدأ بالأول منهما ..

## لماذا الألم ؟

إنك تجد الرجل يحب ابنه كل الحب ومع ذلك يعاقبه بالضرب والحرمان من المصروف والتأديب والتعنيف .. وكلما ازداد حبه لابنه ازداد اهتمامه بتأديبه .. ولو أنه تهاون فى تربيته لاتهمه الناس فى حبه لابنه ولقالوا عنه إنه أب مهمل لا يرعى أبناءه الرعاية الكافية .. فما بال الرب وهو المُربى الأعظم ، وكلمة الرب مشتقة من التربية .

كذلك فإن آلام الدنيا دائماً نوع من التقويم .. هى كذلك على مستوى الفرد وعلى مستوى الأمم ..

ومن فوائد الألم كذلك : التذكير بأن الدنيا ليست نهاية المطاف ، وحيث أنها ليست نهاية المطاف فهى لا يمكن أن تكون جنة .. وإنما مجرد مرحلة .. فترة مؤقتة ، والإخلاد إليها غفلة ما بعدها غفلة .

ومن هنا كان أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ؛ لأن الإنسان كلما كان قريباً من ربه .. اصفاه ربه واصطنعه لنفسه وأراد له ألا يركن إلى هذه الدنيا الفانية ، وأن يطمح – دائماً – إلى ما هو خير وأبقى .

والعذاب من هذه الزاوية وكذلك العناء فى الدنيا محبة وتأهيل .. وهو الضريبة التى يلزم دفعها للانتقال إلى درجة أعلى .

## الله محبة ، فكيف سيعذب بالنار ؟

إن عبارة ( الله محبة ) عبارة فضفاضة يسىء الكثيرون فهمها ويحملونها معنى مطلقاً .. ويتصورون أن الله محبة على الإطلاق .. وهذا غير صحيح .

فهل يحب الله الظلم مثلاً ؟ مستحيل .

إن جهنم هى المكان اللائق لمن رفض أن يتعلم من جميع الكتب والرسل ، وللذين كذّبوا حتى أوّليات العقل وبداهات الإنسانية .

## ما هى طبيعة نعيم الجنة وعذاب النار ؟

وصف لنا الله الجنة والنار بكلمات نفهمها من خلال خبرتنا الدنيوية .. أما نحن فلم ندخل الجنة أو النار .. وذلك كما نقول للصبى الذى لم يدرك البلوغ حينما يسألنا عن اللذة الجنسية إنها مثل السكر أو العسل لأننا لا نجد فى قاموس خبراته شيئاً غير ذلك .. ولأن تلك اللذة الجنسية بالنسبة له غيب لا يمكن وصفه بكلمات من محصوله اللغوى فهى خبرة لم يجربها إطلاقاً .. وبالمثل الجنة والجحيم هى خبرات بالنسبة لنا غيب .. وكل ما يمكن هو تقريب الصورة بكلمات نفهمها مثل النار أو الحدائق الغنّاء التى تجرى من تحتها الأنهار .. أما ما سوف يحدث فهو شىء يفوق بكثير كل هذه الأوصاف التقريبية مما لم تره عين ولم يخطر على قلب بشر .

ويمكن أن يقال دون خطأ إن جهنم هى المقام الأسفل بكل ما يستتبع ذلك المقام من عذاب حسى ومعنوى .. وأن الجنة هى المقام الأعلى بكل ما يستتبع ذلك المقام من نعيم حسى ومعنوى .

## الإسلام هو بديل المادية وهو طريق النجاة لأنه دين التوازن ودين الفطرة

الإسلام هو ذلك الدين الذى اعترف بالجسد والروح معاً ، ووازن بينهما ..
بخلاف المادية التى لا تنظر فى الإنسان إلا للجانب المادى فقط ، وبخلاف الفلسفات المخبولة الأخرى التى تتصور الإنسان روحاً فقط ، وتهمل جانب الجسد تماماً .
ونلمح فى كل تعاليم الإسلام ذلك التوازن بين الروح والجسد ؛ لأنه لا قوام لأحد البعدين إلا بالآخر .
فالصلاة الإسلامية رمز للوحدة بين الروح والجسد .. تلك الوحدة التى لا تتجزأ ..الروح تخشع واللسان يسبح والجسد يركع .
والطواف حول الكعبة رمز آخر لدوران الأعمال حول القطب الواحد ، واستهداف الحركات والأفكار لهدف واحد هو الخالق الذى خلق حيث لا موجود بحق إلا هو ، وحيث كل شىء منه وإليه .. والطواف هو التعبير الجسمانى والنفسانى والروحانى لهذا التوحيد .

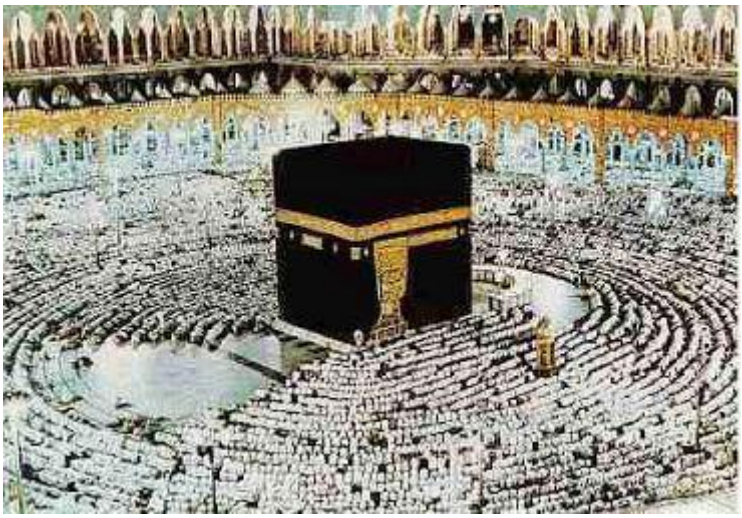

وبهذا يُعيد الإسلام إلى الإنسان التئامه روحاً وجسداً ويُعيد إليه السكينة فينتهى ذلك الصراع بين الشهوة والعقل ، ويولد منهما شيئاً جديداً هو الشهوة العاقلة البصيرة التى يتوحد فيها النقيضان .. كما تتوحد العاطفة مع الفكر ، والباطن مع الظاهر فلا نعود نرى ذلك المخادع الذى يخالف قلبه عقله ويخالف عقله قوله ويخالف قوله فعله .. وإنما يقوم مقام ذلك الإنسان المفكك الممزق إنسان جديد توحّد روحاً وجسداً .. وقولاً وفعلاً .. وباطناً وظاهراً .
والإسلام يقدم للعصر المادى باب النجاة الوحيد والحل الوحيد والمخرج الوحيد .. فهو يقدم إليه كل تراثه الروحى دون أن يكلفه أن ينزل عن شىء من مكتسباته العلمية أو تفوقه المادى .. وكل ما يريده الإسلام هو أن يحقق الاقتران الناجح والتزاوج الناجح بين المادة والروح لتقوم مدنية جديدة هى مدنية القوة والرحمة ..

مدنية القوة والأخلاق .. حيث لا تكون القوة المادية مسخاً معبوداً وإنما تكون أداة ووسيلة فى يد القلب الرحيم .

## خواطرى حول الكتاب :

فى نهاية الكتاب لا يسعنى سوى أن أقدم لعزيزى القارىء بعض خواطرى حول كتاب ( رحلتى من الشك إلى الإيمان ) كما يلى :

## أكبر سببين لانتشار الإلحاد ..

من خلال القصة التى حكاها لنا الدكتور مصطفى محمود عن بدايات الشك فى حياته ، وأنه كان يسأل ( تقولون أن الله خلق الدنيا ، فمن خلق الله ؟ ) .. من هذه القصة نتعرف على أكبر سببين لانتشار الإلحاد ، وأنهما :

1. قسوة ردود الفعل على الأسئلة التى من هذا النوع ، فقد تباينت ردود الفعل على سؤال الدكتور ، ولم يكلف أحد من الحاضرين نفسه لمناقشة الدكتور فيما يقول .. مهما كان السؤال صادماً ، فلابد أن نتناوله بالمناقشة والحوار بدلاً من القسوة والصدام .
2. السبب الثانى أن الدكتور مصطفى محمود نفسه اعترف بعد تحوله للاتجاه الإيمانى أن زهوه بعقله وإعجابه بذكائه كانا من الدوافع الخفية لطرح مثل هذه الأسئلة ..

**والخلاصة** أنه لو رغب الإنسان حقاً فى معرفة الصواب دون استكبار أو غرور ، ولم يبخل عليه أحد بالتجاوب مع ما يطرحه من أسئلة ، لربما قلّ عدد الملحدين الذين لا وجود لهم إلا فى ظل مشاكل نفسية أو مجتمعية .

## من خلق الله ؟!

عرفنا من خلال كتابنا الجميل أنه لا يصح أن نسأل هذا السؤال : من خلق الله ؟ لأنه كما قال د. مصطفى محمود حاكياً عن نفسه أنه عندما سأل هذه السؤال فى صغره : قد غابت عنه أصول المنطق ولم يدرك – حينذاك – أنه يتناقض مع نفسه ، فيعترف بالخالق ، ثم يقول : ومن خلق الخالق .. فيجعل منه مخلوقاً بعد أن اعتبره خالقاً ،

ثم إن القول بسبب أول للوجود يقتضى أن يكون هذا السبب واجب الوجود فى ذاته ، وليس معتمداً ولا محتاجاً لغيره لكى يُوجد .
أما أن يكون السبب فى حاجة إلى سبب ، فإن هذا يجعله واحدة من حلقات السببية ولا يجعل منه سبباً أول .
كلام جميل ، ولكن لا يزال السؤال يتردد على ذهنك ، أليس كذلك ؟!
هل تدرى السبب فى ورود السؤال على ذهنك من حين لآخر ؟
السبب فى ذلك أنك لأجل رؤيتك كل شىء حولك مخلوقاً ، فأنت لا تستطيع أن تتصور شيئاً ليس مخلوقاً ، فيعمم عقلك ما تراه فى كل ذرة فى هذا العالم ويحاول أن يجعل القاعدة تسرى حتى على الله ، وكأنك تفترض أن الله جزء من هذا العالم يخضع لقوانينه وقواعده ، ونسيت أنه سبحانه وتعالى متعال على العالم خالق له مهيمن عليه وهو من وضع أصوله وسننه وقواعده .

عندما يتأمّل الإنسان حوله ، فسيجد أن شيئاً قد نتج عن شىء .. وأن شيئاً قد أنتج شيئاً .. وهو ما يعبرون عنه بـ : المادة لا تفنى ولا تُستحدث من العدم .. فالمادة لابد أن تصير إلى شىء ، بعد أن تكون قد صارت هى من شىء ، ونحن نرى ذلك فى كل شىء حولنا وكل يوم .. ولكن ، فالعقل يقتضى فى النهاية أن نؤمن أن هناك إلهاً قد خلق كل شىء وليس متولدّاً عن شىء .. والعقل إذ يؤمن بهذا .. فهو – وفى ذات الوقت – قد لا يستطيع أن يدركه ويتصوره .. وفرق كبير واضح بين أن يحكم العقل بالتناقض بين شيئين واستحالة الجمع بينهما ، وأن يحكم العقل بأنه عاجز عن الإدراك والتصور .. إذ أن العقل الذى يبنى أحكامه على السمع المحدود والبصر المحدود والشمّ المحدود واللمس المحدود والخبرات المحدودة والمعارف القاصرة .. محدود أيضاً تبعاً لذلك .. فما بُنى على محدود محدودٌ ، وبالتالى فقانون المادة لا تفنى ولا تُستحدث من العدم صحيح وفق قدرات البشر وليس عند الله الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ( ولست أقصد فحسب أن الله قادر على إفناء الأشياء واستحداثها من العدم ، بل أقول أن الله لا يخضع لهذه القوانين ، كيف وهو من أنشأها ؟! )

**والخلاصة** أن مجرد إدراك أن هذا الكون لابد له من خالق يكفى لكى نؤمن بهذا الخالق ، وليس شرطاً للإيمان أن نحيط علماً بالله أو أن ندرك ما هو فوق قدرات العقل ؛ كأن ندرك كيف بدأ الخلق فهى لحظة لم نشهدها **(مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ )** ، أو أن ندرك كيف سينتهى لأنه لن ينتهى إلا بزوال هذا العالم وزوال قوانينه بالتالى وقيام الساعة **( وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ) .**

قال تعالى : **(وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا )** فمهما فعلت لن تدرك كيف أن الله خالقاً لم يخلقه أحد ، ولا يزال هذا السؤال يتردد على ذهنك من حين لآخر ، والواجب عليك – حينئذ – أن لا تناقش الأمر عقلياً ، لأنه ليس من اختصاصات العقل ، بل عليك باتباع ما نصحك به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال :

**يأتى الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ، من خلق كذا ، حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته .**

فهو صلوات الله عليه نهاك عن تناول تلك المسألة عقلياً وبدلاً من ذلك ، تناولها قلبياً بأن تقول : آمنت بالله .

## موقف الناس من الفتن ..

يقول د. مصطفى محمود عندما كان يسأل وهو صغير مراهق ( من خلق الله ؟ ) : كنت أقول هذا فتصفرّ من حولى الوجوه وتنطلق الألسن تمطرنى باللعنات وتتسابق إلىّ اللكمات عن يمين وشمال .. ويستغفر لى أصحاب القلوب التقيّة ويطلبون لى الهدى .. ويتبرأ منى المتزمّتون ويجتمع حولى المتمرّدون .. فنغرق معاً فى جدل لا ينتهى إلا ليبدأ ولا يبدأ إلا ليسترسل . انتهى
د. مصطفى محمود بدون أن يقصد أشار إلى موقف الناس من الفتن .. فمنهم منْ يخوض فيها ( المتمرّدون ) .. ومنهم منْ تثير عنده اللغط والفوضى والثرثرة ( العوام ) ، ومنهم من يستعيذ بالله منها يطلب السلامة له ولغيره ( أصحاب القلوب التقيّة ) ، ومنهم من يسارع بإلقاء التهم وإصدار الأحكام بالتكفير وتضليل الناس دون أدنى محاولة للتفسير والفهم ( المتزمّتون ) .

## أسلوب الدكتور مصطفى محمود ..

أسلوب الدكتور مصطفى محمود كما رصدناه فى هذا الكتاب – وفى سائر كتبه – شيق رصين يجمع بين حلاوة الأدب ، وانضباط العلم ، فلا هو بالأسلوب الأدبى الخيالى البحت ، ولا هو بالأسلوب العلمى الجاف ، ولكنه يجمع بين الاثنين فى وحدة متكاملة ليس من السهل أن تجدها فى غير كتب مصطفى محمود .

## الطفل البرىء مصطفى محمود !!

تعرفت من خلال قراءتى لهذا الكتاب على صفة فى شخصية الدكتور مصطفى محمود ؛ وهى براءة الطفولة ، وهذه الصفة تجعل الدكتور يطرح ما يعتقده مثل الطفل الذى لا يعرف سقفاً ولا قيوداً ، وكثير من أفكار الدكتور رحمه الله تبدو صادمة ليس لأن الدكتور يريد أن يلفت النظر إليه ، ولكنه يبدو طفلاً يطرح ما يفكر فيه بصوته العالى ( اللى فى قلبه على لسانه !! ) .. فالدكتور أثار الجدل عندما كان معتنقاً للفكر المادى ، وأثار الجدل بعدما تحول لاعتناق الفكر المؤمن ( مثل إثارته لقضية الشفاعة ، وحديثه عن صحيح البخارى وكتب الأحاديث عموماً ) وربما لا تقرأ كتاباً للدكتور رحمه الله ، إلا وتلمح بين السطور فكرة جريئة يطرحها ، ومن هذه الأفكار الجريئة الواردة فى هذا الكتاب :

1. افتراضه أن بوذا وإخناتون من الأنبياء وأن ما وصل من تعاليمهما قد يكون قد خضع للتحريف ، ويعتمد فى ذلك الرأى على قول الله تعالى : **(وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ)**
2. حديثه عن غاندى وأنه مثال للوعى الدينى المتفتح ؛ لأنه كان يقرأ فى صلاته فقرات من التوراة والإنجيل والقرآن وكتاب ( الدامابادا ) لبوذا .. وما يفعله غاندى لا يوصف إلا بأنه ( لخبطة ) لا تحسب على إسلام ولا مسيحية ولا يهودية ولا بوذية ولا على الوعى الدينى المتفتح .. رغم أن الدكتور قبل هذه الفقرة مباشرة يذكر أن الله أمرنا بالإسلام ديناً لأنه الدين الوحيد الذى يؤمن بكل الرسل وبكل الكتب ويختمها حكمة وتشريعاً .. فليس فى كلام الدكتور تناقض ، ولكنها براءة الطفولة التى حدثتك عنها .. فهكذا هم الأطفال يبدون سطحيين أو متناقضين أو بريئين إن شئت الدقة !!
3. ذكره ( نقلاً عن الكاتب البولندى الذى أسلم محمد أسد ) أن المسيح الدجال ظهر بالفعل وهو متمثل فى هذا العلم التقنى الذى اتخذه الناس صنماً يعبدونه من دون الله ..

**والواجب** علينا تجاه أفكار الدكتور مصطفى محمود من هذا النوع أن لا نعطيها أكبر من حجمها وألا نسىء الظن بصاحبها ، وليكن تعاملنا معها إما بغض النظر عنها أصلاً لأنه لا طائل من بحثها ( كما فى الفكرة الأولى ، فهى أمور العلم بها لا ينفع والجهل بها لا يضر ) ، وإما بغض النظر عنها لخطئها البين ( كما فى الفكرة الثانية ) ، وإما بغض النظر عن الفكرة فقط دون حيثياتها التى قد تفيدنا ( كما فى الفكرة الثالثة ) .. وأكاد أزعم أنه ليس من مدخل لتفسير بعض الأفكار الجريئة

العجيبة للدكتور مصطفى محمود سوى النظر إليه كما ننظر لطفل يأتى بالأعاجيب ولا نملك إلا التبسم !!

**بهذا نكون قد انتهينا من استعراض هذا الكتاب الرائع للدكتور مصطفى محمود .. ولا أجد ما أختم به غير قول الدكتور رحمه الله فى وصف رحلته من الشك إلى الإيمان :**

**لم يكن الأمر سهلاً .. لأنى لم أشأ أن آخذ الأمر مأخذاً سهلاً . ولو أنى أصغيتُ إلى صوت الفطرة وتركت البداهة تقودنى لأعفيتُ نفسى من عناء الجدل .. ولقادتنى الفطرة إلى الله . وذرة من الإخلاص أفضل من قناطير من الكتب .**

**ومنْ فقد سلامة الفطرة وبكارة القلب ، ولم يبق له إلا الجدل وتلافيف المنطق وعلوم الكلام .. فقد فقد كل شىء وسوف يطول به المطاف .. ولن يصل أبداً .**

**وكلام الدكتور هذا يذكرنا بقول الله سبحانه وتعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ " فالطاعة ( والطاعة حتى بالنسبة لغير المؤمن إذ من هذا الذى يمكن أن يعترض على فعل الخير الذى يستحسنه العقل حتى ولو لم يكن صاحبه مؤمناً ) تؤدى إلى صفاء البصيرة ممّا يؤدى إلى أحكام سليمة ونظرة ثاقبة وسعادة بإذن الله فى الدنيا والآخرة .**

لو أعجبك هذا التلخيص ، فيمكنك أن تدعمنا على باترون على الرابط أدناه لدعم عمل المزيد من تلخيصات الكتب النافعة ..

https://www.patreon.com/user?u=10623697

رابط صفحتنا على الفيسبوك :

/https://www.facebook.com/t3anshabketab

رابط موقع تعانشب كتاب :

/http://t3anshab.com

للتواصل معنا :

atito@t3anshab.com

**مع تحيات / محمد عطيتو**

**مع تعانشب كتاب .. الكتب بقى ليها طعم تانى !!**